MOVING MINDS ALLIANCE

كيف يُترك الأطفال الصغار في الاستجابة الإنسانية

الصورة: iACT، Little Ripples، تشاد

بسبب الطبيعة المطولة للكثير من حالات الطوارئ - التي يستمر كثير منها ما بين 10 و 26 سنة - يقضي ملايين الأطفال الصغار طفولتهم بأكملها في سياقات الأزمات التي تهدد نموهم على المدى القصير والطويل (Masten and Narayan, 2012). والتجارب المبكرة التي يعايشها الأطفال تُشكّل بنية الدماغ لديهم وتحدد نموهم المستقبلي. عندما يولد الطفل في سياق طارئ أو يواجه محنة شديدة قبل سن الخامسة، فإنه يواجه مخاطر مضاعفة تهدد نموه وعافيته على المدى الطويل. وللأسف هناك فجوة كبيرة في الاستجابة الإنسانية التي تهدف إلى تخفيف الآثار السلبية لحالات الطوارئ على النازحين من الرضع والأطفال الصغار ومن يرعوهم.

وتشمل البرامج الإنسانية للسنوات الأولى عدة قطاعات وهي (الصحة والتغذية والتعليم والمياه والصرف الصحي والحماية)، وهو الأمر الذي يُصعِّب العثور على موطن واضح داخل منظومة إنسانية منعزلة بشدة. ونتيجة لذلك فغالبًا ما يتم إغفال تنمية الطفولة المبكرة أو تهميشها في النهاية، بدلاً من دمجها في إجراءات التشغيل الموحدة عبر القطاعات المختلفة. ويوجد ارتباط وثيق بين صحة الأطفال الصغار وتغذيتهم وتعلّمهم وسلامتهم واحتياجاتهم الاجتماعية والعاطفية. وعندما لا تتم تلبية إحدى الحاجات، يمكنها التسبب في مشاكل في جميع جوانب نمو الطفل وتنميته.

ما معنى تنمية الطفولة المبكرة؟

في السنوات القليلة الأولى من حياة الطفل، يمر الدماغ البشري بأكثر فترات النمو والتعلم نشاطًا. فهو يكوّن أكثر من مليون وصلة عصبية جديدة كل ثانية.

وتشكّل كل من جينات الطفل وتجاربه بنية الدماغ النامي. وتعتبر إقامة علاقات مستقرة مع الأشخاص الذين يقدمون الرعاية وغيرهم من البالغين عنصرًا أساسيًّا في هذه العملية، حيث يتم دعم تنمية المهارات الاجتماعية والعاطفية والمعرفية الحيوية (مركز نمو الطفل بجامعة هارفارد، 2022). ومن دون هذه العلاقات المتسقة والمتجاوبة والتحفيز أثناء السنوات الأولى، يتعرض نمو الطفل وعافيته للخطر.

ومن بين كل خمسة أطفال يولدون في مناطق متأثرة بالصراع كل عام هناك طفل واحد تهدد العوامل البيئية نموه الدماغي السليم تهديدًا شديدًا (اليونيسف، 2019). وتُظهر شواهد قطعية مستمدة من علم الأعصاب إلى علم الاقتصاد أن معايشة تجارب المحن الشديدة والممتدة في وقت مبكر من الحياة يمكنه تغيير نمو الدماغ. والنتيجة؟ تأثيرات سلبية على الصحة والتعلم والسلوك طوال العمر. وبالنسبة للأطفال الصغار جدًّا الذين يولدون في أوضاع صراع أو نزوح، يمكن أن يكون التأثير طويل الأمد مدمّرًا.

وتشمل الطفولة المبكرة عدة مراحل تنموية متمايزة:

- من الحمل إلى الميلاد
- من الميلاد إلى سن 3 سنوات
- سنوات ما قبل المدرسة وما قبل المرحلة الابتدائية

  3 سنوات إلى 5 أو 6 سنوات، أو سن الالتحاق بالمدرسة (اليونيسف، 2017)

تعتبر الأيام الألف الأولى، من الحمل حتى سن 24 شهرًا، ذات أهمية خاصة للنمو المبكر للدماغ.

تساهم هذه المراحل النمائية في العملية المستمرة التي ينمو الطفل من خلالها ويطور مهاراته وقدراته. ويحتاج جميع الأطفال الصغار، لا سيما اللاجئين والمهمشين ومن يعيشون في أزمات إنسانية، إلى فرصة للنماء إلى أقصى إمكاناتهم خلال هذه السنوات الحرجة (اليونيسف، 2017).

ونظرًا لأن تنمية الطفولة المبكرة تشتمل على الكثير جدًّا من مجالات حياة الطفل، يجب أن تكون البرامج المصممة لدعم تنمية الطفولة المبكرة متعددة القطاعات. فهي تتطلب تنسيقًا عبر خمسة مجالات لتنمية الطفل: التحفيز والتعليم والصحة والتغذية والحماية. كما يجب أن تدمج أيضًا تقديم الدعم للوالدين والأشخاص الذين يقدمون الرعاية لتوفير الرعاية في مرحلة التنشئة. وينبغي أن تتضمن برامج تنمية الطفولة المبكرة إجراءات محددة لتأييد حقوق الطفل في البقاء والنمو والحماية والمشاركة (تحالف العقول المتحركة، 2019).

إطار الرعاية في مرحلة التنشئة

توفر الرعاية في مرحلة التنشئة إطارًا لمساعدة الأطفال على البقاء والنماء. وهو يشير إلى الظروف التي توجدها السياسات والبرامج والخدمات وتمكّن المجتمعات المحلية والأشخاص الذين يقدمون الرعاية من حماية الأطفال من التهديدات التي ستعوقهم عن بلوغ المستوى الأمثل من الصحة والنمو من الناحية البدنية والعاطفية. وفي سياقات الطوارئ والأزمات، تحمي الرعاية في مرحلة التنشئة الأطفال أيضًا من آثار المِحن (اليونيسف وآخرون، 2020). ويركّز إطار الرعاية في مرحلة التنشئة تحديدًا على المرحلة من الحمل إلى سن 3 سنوات بسبب نقص البرامج المخصصة لهذه الفترة الحرجة التي ينمو فيها دماغ الطفل.

الصورة: إطار الرعاية في مرحلة التنشئة من أجل تنمية الطفولة المبكرة

ويتكوّن إطار الرعاية في مرحلة التنشئة من خمسة مكونات يمكن اعتبارها مدخلات مطلوبة لتحقيق التنمية المثلى لجميع الأطفال الصغار (منظمة الصحة العالمية واليونيسيف والبنك الدولي، 2018).

> وُلد أكثر من 29 مليون طفل في مناطق عانت من صراع مسلح في 2018، وقضوا أولى لحظاتهم في حالة من الفوضى، غالبًا في بيئات غير آمنة للغاية وعلى درجة عالية من الإجهاد.
>
> – اليونيسف، 2019

الصحة الجيدة

صحة وعافية الأطفال والأشخاص الذين يرعوهم مترابطان.

التغذية الكافية

تعتبر تغذية الأم والطفل أمرًا بالغ الأهمية، بدءًا من الحمل.

تقديم الرعاية المتجاوبة

من المهم أن يتمكّن الشخص الذي يقدم الرعاية للطفل من ملاحظة إشارات طفله وفهمها والاستجابة لها في حينها وبطريقة ملائمة.

فرص التعلم المبكر

لا يقتصر التعلم المبكر على سياقات التعليم الرسمي فحسب، بل يمثّل أي فرصة تتاح للطفل لكي يتفاعل مع شخص أو مكان أو شيء في بيئته.

الأمن والسلامة

يحتاج الأطفال وأسرهم إلى بيئات آمنة وخالية من الأخطار الجسدية والإجهاد العاطفي والتلوث، مع إمكانية الحصول على الطعام والماء.

ويعتبر اعتماد إطار الرعاية في مرحلة التنشئة خطوة ضرورية في التعامل مع تنمية الطفولة المبكرة في سياقات الطوارئ. ويجب أخذ المكونات الخمسة لإطار الرعاية في مرحلة التنشئة بعين الاعتبار لضمان حصول الأطفال الصغار ومن يرعوهم على الدعم الذي يحتاجون إليه للتغلب على المحن (اليونيسف وآخرون، 2020).

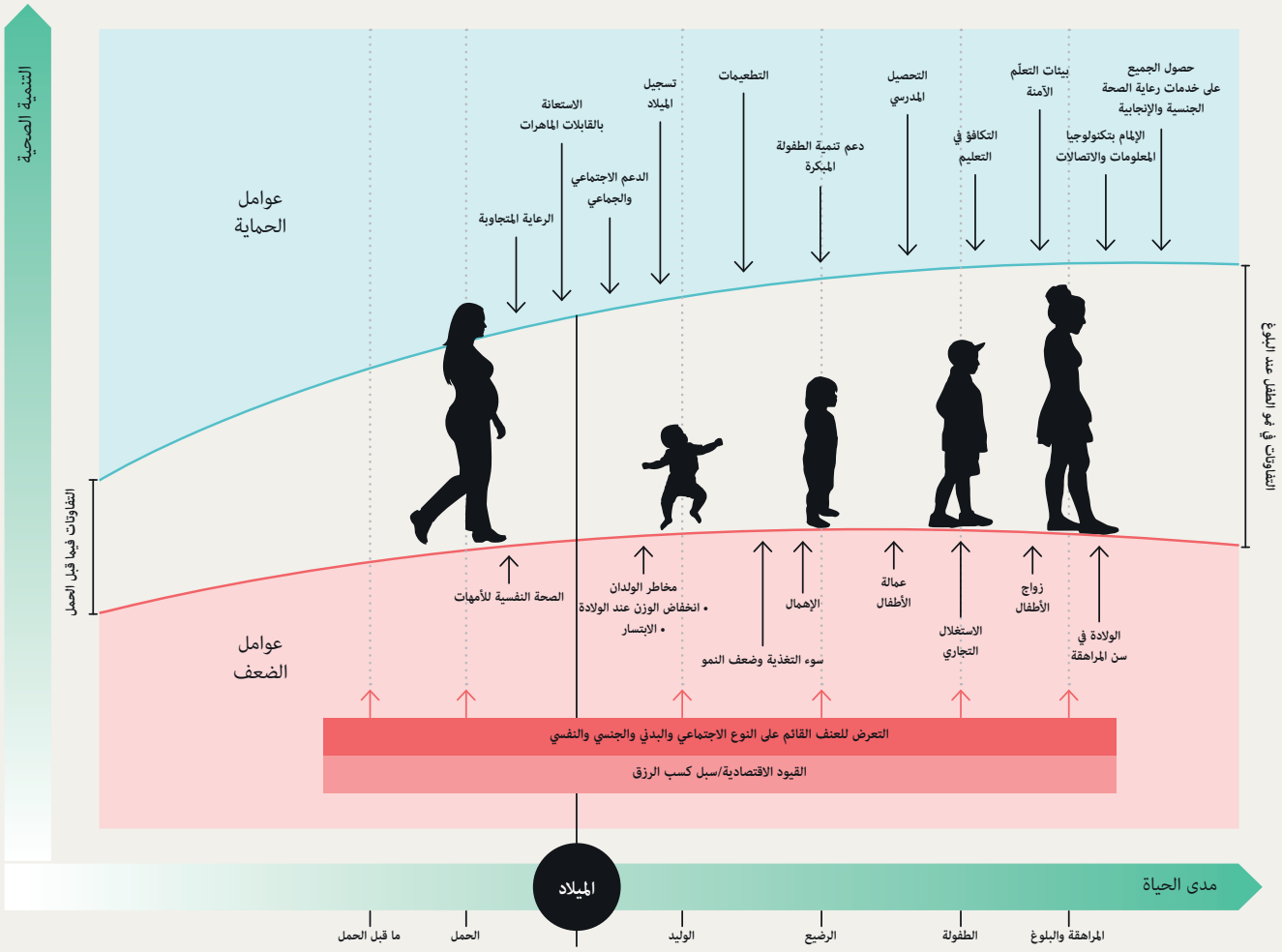

مقتبس من كلارك إتش وآخرون. مستقبل لأطفال العالم؟ منظمة الصحة العالمية - اليونيسف - لجنة لانسيت. ذا لانسيت، فبراير/شباط 2020

الشكل 1: التفاوتات في نمو الطفل

الحد من التهديدات بالرعاية في مرحلة التنشئة

يواجه الأطفال الصغار الذين يعيشون في سياقات الأزمات فترة مطوّلة ومفرطة من تفعيل الإجهاد (مثلاً: الإجهاد السام) يمكنها تغيير كيمياء الدماغ والجسم وإحداث آثار سلبية ضارة وطويلة الأمد. وتُظهر الأبحاث أن الحصول على الرعاية في مرحلة التنشئة يمكنه تخفيف وطأة هذه التهديدات. وبالنسبة للأطفال الأصغر سنًّا، تعتبر العلاقة الصحية والداعمة مع الشخص الذي يقدم الرعاية المصدر الأساسي للقدرة على الصمود. لكن أسر اللاجئين والأسر في حالات الطوارئ تواجه الكثير من العقبات التي تحول دون تلبية حاجات أطفالهم. وعندما يكون الشخص الذي يقدم الرعاية في حالة تأقلم مع الفقدان وانعدام الأمن والاكتئاب والمِحن، تتعطل قدرتهم على التفاعل بشكل إيجابي مع أطفالهم. ويسفر هذا عن تفاوتات تبدأ في الطفولة المبكرة وتتسع هوّتها إلى مرحلة البلوغ (انظر الشكل 1).

وبالتالي يجب أن تشتمل خدمات وبرامج تنمية الطفولة المبكرة على كل من التدخلات المعنية بالأطفال الصغار والرعاية الوقائية والصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي للأشخاص الذين يقدمون الرعاية. ويمكن لهذه في مجموعها، إلى جانب تدريب الوالدين، إعادة بناء قدرات الأشخاص الذين يقدمون الرعاية على توفير الرعاية في مرحلة التنشئة لأطفالهم وإعادة بناء حياة أسرية صحية. وتعتبر رعاية كل من الطفل الصغير ومن يرعاه حاليًا من أكبر الفجوات في جهود الاستجابة للطوارئ القائمة.

التوصيات

تُظهر مجموعة متزايدة من الشواهد الاقتصادية أن الاستثمار في خدمات تنمية الطفولة المبكرة الفعالة يمكنها تحقيق بعض من أكبر العوائد على الاستثمار على صعيد السياسات العامة - لا سيما للمجتمعات الفقيرة والمهمشة أو المتأثرة بالصراع - وذلك على سبيل المثال بالمساهمة في الاستعداد للمدرسة والبقاء فيها، واكتساب المؤهلات، وأنماط الحياة الصحية، والمواطنة النشطة، والتماسك الاجتماعي. ومع ذلك فما زال الاستثمار الحكومي يميل إلى إعطاء الأولوية للفترات اللاحقة من التنمية البشرية.

وتأسس تحالف تحريك العقول لتوفير الخبرة البرامجية والتمويلية والبحثية لدعم إعطاء الأولوية للاجئين الأصغر سنًا ومن يرعوهم. وهو شراكة متعددة أصحاب المصلحة تعمل على توسيع نطاق التمويل والسياسات والقيادة اللازمة لتقديم الدعم الفعال للأطفال الصغار والأسر المتضررين من الأزمات والنزوح في كل مكان. فالحاجة كبيرة إلى مزيد من الشراكات لتوسيع الرعاية لبرامج وخدمات تنمية الطفولة المبكرة في السياقات الإنسانية. وفيما يلي سبعة إجراءات ذات أولوية للمساعدة على ضمان إعطاء الأطفال الصغار، وخاصة من هم في أوضاع إنسانية، الفرصة للنمو والتطور (تحالف تحريك العقول، 2019):

1	إعطاء الأولوية لإنشاء **برامج الطفولة المبكرة المتمركزة حول الأسرة** لجميع الأطفال الصغار والأسر المتضررين من الأزمات والنزوح.
2	زيادة التمويل والإدراج الصريح والموجّه لبرامج وخدمات **الطفولة المبكرة المشتركة بين القطاعات** في الأوضاع الإنسانية والهشة والمتضررة من الصراع، وكذلك في المجتمعات المضيفة، وإعادة التوطين، والعودة.
3	إنشاء أو تدعيم آليات مشتركة بين القطاعات والوكالات لتنسيق **تنمية الطفولة المبكرة** في الاستجابة للأزمات.
4	دمج **تدخلات الطفولة المبكرة** في الخدمات الحالية ومنصات تقديم الخدمات التي تصل إلى الرضّع والأطفال الصغار ومن يرعوهم والحوامل.
5	تقديم **دعم الصحة النفسية والدعم النفسي الاجتماعي المستمرين** بالإضافة إلى دعم التربية للأشخاص النازحين الذين يقدمون الرعاية ويربّون أطفالاً صغارًا.
6	إشراك أسر اللاجئين والأطفال كشركاء فاعلين في **تصميم البرامج وتنفيذها**، من تحديد الاحتياجات إلى التنفيذ والرصد وتقييم الأثر.
7	تشجيع **البحوث المستمرة** لتنوير ممارسات الطفولة المبكرة التي تؤثر على الأطفال والأسر المتضررين من النزوح، وتطبيع **جمع البيانات المصنّفة حسب العمر** حول كل من تنمية الطفل وجودة خدمات تنمية الطفولة المبكرة المقدمة.

إن اعتماد منظور للرعاية في مرحلة التنشئة في استراتيجيات الاستجابة الإنسانية يمكنه مساعدة المنظمات الإنسانية والحكومات والجهات المانحة ومنظمات المجتمع المدني على تنفيذ هذه التوصيات وضمان حصول جميع الأطفال على فرص النماء.

الصورة: بإذن من BRAC

المراجع و القراءة الإضافية

Advancing Early Childhood Development: from Science to Scale," Linda M. Richter et al. The Lancet Early Childhood Development"
.Series, 2016

.Born into conflict: Threats beyond the front lines." UNICEF, 2019"

.Brain Architecture." Center on the Developing Child website, Harvard University, 2022"

Child development in the context of disaster, war, and terrorism: Pathways of risk and resilience." Masten, A.S. and Narayan, *Annual*"
.*Review of Psychology*, 63: 227-257, 2012

Early Childhood Development and Early Learning for Children in Crisis and Conflict. Bouchane, K., Yoshikawa, H., Murphy, K., and
.Lombardi, J. Background paper to the 2019 Global Education Monitoring Report, UNESCO, 2018

.Early Childhood Development in Emergencies: Integrated Programme Guide. UNICEF, 2014

.Global Trends: Forced Displacement in 2020. UNHCR, 2020

Nurturing care for children living in humanitarian settings. UNICEF, International Rescue Committee, WHO, ECDAN and the Partnership
.for Maternal, newborn & Child Health, 2020

Nurturing care for early childhood development: a framework for helping children survive and thrive to transform health and human
.potential. WHO, UNICEF, World Bank, 2018

.Safe Spaces: The Urgent Need for Early Childhood Development in Emergencies and Disasters. Theirworld, 2016

.Supporting the Youngest Refugees and Their Families. Moving Minds Alliance, 2019

.UNICEF's Program Guidance for Early Childhood Development. UNICEF Programme Division, 2017

شكر وتقدير

كتب هذا الملخص أماندا فورسي من شركة Soapbox، وماري أولمان، وكيت أندرسون، وراجعه فكتور هوجو دالسترويم، وصوفي إنستروم، وإميلي جارين، وكيرستن جيلسدورف، وآشلي نيمبرو، ولورا بيترسون، وسارة سيكستون، وإلفيرا تيسين، ونور جاروج. ونتقدم بالشكر إلى مركز نمو الطفل بجامعة هارفارد على ما قدموا من مُدخلات وإرشادات.

نبذة عن تحالف تحريك العقول

تحالف تحريك العقول شبكة تعاونية متنامية تضم 26 منظمة عضوًا على مستوى العالم ينصبّ تركيزها على الطفولة المبكرة في سياقات الأزمات.

@MovingMindsECD linkedin.com/company/moving-minds-alliance